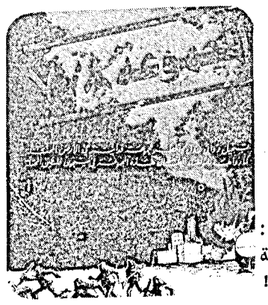

توفيق فياض : مؤلف المجموعة ٧٧٨ !!

ان هذه الرواية القائمة احداثها على الصدف في نجاح اغلب عملياتها تحبط عزيمة القارىء ، وتقلل من اهمية العمليات التي قامت على تخطيط واضح وحسابات علمية » ،

ويروي احمد الهدهد عن حادثة استشهاد اثنين من رفاقه في التنظيم ، حركة القوميين العرب ، بأنهما خلال قيامهما بعملية ، منطلقين من احدى القواعد السرية من الضفة الغربية ، قامت قوات العدو بمطاردتهما والبحث عنهما، مما تعذر عليهما العودة الى القاعدة السرية فدخلا الاراضي الاردنية، ولكن القوات الاردنية قامت بما اخفقت فيه قوات العدو الصهيوني ، فقتلتهما ، برصاص الغدر ،

ان تجربة الهدهد في سجون العدو تجربة نضالية، وتوضح مذكراته التي يسجلها تمهيدا لنشرها ، بأن الوثائق التي ينقلها تدحض المعلومات التي وردت في رواية توفيق فياض – مجموعة ٧٧٨ – ، والتي تدس ما بين صفحة واخرى على الحركة التقدمية الفلسطينية ، وبشكل خاص على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وهذه الرواية تسيء كثيرا ليس فقط للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، انما لحركة المقاومة ككل ، وبهذا تقدم الرواية خدمة بشكل غير مباشر للعدو ولاعلامه ..

لمصلحة من ؟

لنتابع القراءة في الرواية :

« ... ثم انتقل الحاج اسعد للحديث عما حدث من خلاف بين منظمة فتح والجبهة الشعبية ، بعد ان اعلنت كل منهما مسؤوليتها عن العملية ، مما اضطر قيادة فتح لعقد مؤتمر صحفي كان عليه ان يظهر فيه ملثما ليتحدث عن العملية ويقرأ تقريري الذي بعثت به للقيادة وعرض الصور التي كنت قد التقطتها لمكان العملية، فاستأت جدا لهذه المهاترات والمزايدات التي يقومون بها وطلبت اليه ان ينقل رجائي الى قيادة فتح ان لا ينجروا خلف اية مزايدة عليهم بما يتعلق بعمليات مجموعتنا كي لا يفتحوا بأنفسهم علينا ثغرة تستطيع المخابرات الاسرائيلية الوصول الينا عبرها، وانتقلت بعدها لاجلس مع الاستاذ احمد لنعد تقريرا مفصلا عن تنفيذ العملية بالضبط وعن ساعة انفجارها وما الحقته من اضرار ومتى استطاعت المطافىء التغلب على النار ... الخ » (ص ٧٦) ،

احمد الهدهد يقول :

« لا ادري ، من المستفيد من مثل هذه الكتابات، والمصلحة من يتم تشويه نضال الرفاق الذين عانوا خلال النضال وفي السجون ، ان القيمة الادبية والفكرية لاي اثر ادبي هي بمدى صدقه ، ومدى ما يخدم الثورة والجماهير .. واني لاشعر بالاسف لقيام الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين بالمشاركة مع دار نشر لاصدار هذه المجموعة ،

انا لست كاتبا روائيا لاقف موقفا نقديا للرواية من ناحية بنيتها ، ولكني بقدر ما يتعلق بتجربتي احس بأن شخوصها لا يمتون لتجربتنا بصلة .. ان الاشخاص الذين يشكلون ركيزة الرواية بعيدون جدا عنا ، اضافة الى لغتها السمجة التي تشكل احباطا انسانيا للثوار ، والا فماذا تعني هذه الجملة التي يجب ان نقرأها بانتباه وتمعن :

« ثورة اللي كل واحد فيها عامل منظمة لحاله مش معقول تنتصر يا خي .. مش معقول » ، والمقصود هنا بكل واحد (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) .. ولنتصور ، اكرر سؤالي ، من تخدم منا هذه النصوص وامثالها في رواية مجموعة ٧٧٨ ؟

❶ ❷ ❸

ان على الاعلام الفلسطيني والعربي ، وكافة المؤسسات الثقافية للثورة ، ان تقف بحزم ضد مثل هذه النصوص وتحول دون نشرها ، او تقوم بفضحها على اقل تقدير ...

ق ،

حادث بسيط

قصة قصيرة

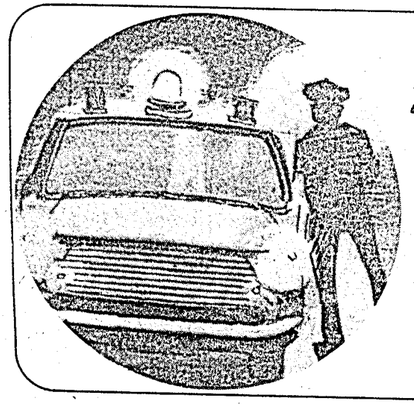

بقلم : محمد حسني

دخلوا بسرعة صقلها التدريب حتما ، ولم يستغرق دخولهم اكثر من لحظة، رن الجرس مالئا بصوته العالي كل فراغات الصمت حولنا ، من يمكن ان يأتي لنا الان ؟.. نظرت اليها فقرأت في عينيها نفس السؤال ، تركت قطعة الخبز من يدي ونهضت ، خلال الخطوات القليلة التي تفصل المائدة عن الباب دارت في رأسي الف فكرة .. حادث طارىء لاحد الاصدقاء ، مرض واحد من الاهل ، برقية ما ، او انهم ... ولم اكمل ، توقفت عن التفكير ،

انفرج الباب نصف انفراجة بعد ان ادرت المقبض في يدي ، ظهرت خلال عتمة منتصف الليل في الممر الطويل كتلة مبهمة لم تنجح خيوط الضوء المتسللة من خلفي في توضيح ملامحها ، استجمعت كل محاولات استطلاعي خلال عيني بينما تسللت كلماته الى اذني : هل تسمح ؟.. رغم محاولته تغليفها بالرقة بدت حروفها كافاع لم تنجح الرقة في اخفاء هياكلها ، لم ينتظر ردي ، اقتحم انفراجة الباب وتقاطروا من خلفه ، خلال لحظة تسللت اشباحهم لتتوسط الردهة بينما دفع اخرهم الباب بقدمه ليغلقه ، دون ان يقول هذه المرة : هل تسمح ؟، استدرت من خلال الاجساد الاربعة التي تفصلني عنه تطلع اولهم الي ، قال كانما يجيب على تساؤلاتي : مباحث، ولم يزد ، مباحث ، وهو يدرك جيدا انها كافية لتفسير كل شيء .. والرد على كل استفسار ،

واذن حدث ، واذن اعيشها الان تلك اللحظات التي طالما حاولت تخيلها ، واعداد نفسي لها ، جاءت كما توقعت على غير انتظار ، لكنها كما لم اتوقع بدت هادئة ، طبيعية ، سريعة ، كثيرا ما فكرت في كيف يمكن ان تتم ، كثيرا ما تخيلتها – وربما كان للسينما دخل في ذلك – تبدا بطرقات سريعة عنيفة على الباب ، وصوت يصرخ من الخارج : افتح باسم القانون – اي قانون – ثم اسمع صوت اكتافهم في الخارج تصقع الباب صقعات متتالية حتى ينهار ليتقاطروا – ربما وهم يصرخون – ومن ايديهم تبرز المسدسات ، بينما هي تصرخ ، ماذا حدث ؟.. الينا .. الينا ايها الجبران ،

لكن حدث على غير ذلك .. بدا هادئا ، مرنا ، لم يستغرق لحظة ، ولم تشهر فيه المسدسات ، او يتعالى الصراخ ، حقيقة الملح يد الذي بجانبي يقبض على شيء تحت الثياب – بالتأكيد مسدس – لكنه لم يشهره .. اكتفى بأن يجعلني ادرك انه يحمله ، وانه مستعد لاشهاره ، بينما هي ...

نظرت اليها عبر الاجساد ، عدا تقطيبة خفيفة – اعرفها جيدا – بدت عند ملتقى حاجبيها ، كانت عادية ، اكتفت بترك ملعقتها في صحنها، وتشبيك اصابعها فوق المائدة ، والنظر اليهم بهدوء ، صدرها لا يبدو عليه تسارع انفاسها ، اصابعها لا ترتجف ، ما بالها ؟ ترى هل هو ذهول المفاجأة ؟، وهل سيتعالى صراخها بعد ان تستوعبها ..؟

تحولت اليهم ، عبرت بنظري الاجساد الاربعة التي يقف اولها بجانبي ، الاولان متشابهان ، طويلان ، صحتيهما حسنة ، بالتأكيد يغذيانهما جيدا ، يحاولان التظاهر بالهدوء بينما اعينهما تفضح تحفزهما ، ثالثهم اكثر وثوقا ، يبدو انه ضابط صغير ، فوقفته الى جانب من خاطبني اولا توحي بهذا .. وتوحي ايضا بفارق الرتبة بينه وبين هذا الاول الذي يبدو انه نقيب – وربما اكبر – فوقفته فيها الكثير من التعالي ،

غريب .. ما هذا الذي افكر فيه ..؟ هم ينتظرون مني شيئا بالتأكيد ، رغم انني لا اريد قول شيء ، او فعل شيء ، لكن لا بد ان هناك شيء يجب ان يقال .. هناك شيء يجب ان يقال .. آه .. تذكرت ، خرج صوتي جافا باردا رغم انني حاولت ان اجعله طبيعيا ، هل معكم ما يثبت شخصيتكم ؟ لم يرد هذا النقيب ، كما اعتقد ، لمحت على شفتيه طيف ابتسامة ، او بالاحرى حاول ان يبتسم ، هل يتهكم ؟.. هل يسخر ؟.. اعتقد هذا ، بتثاقل مد يده الى جيبه الداخلي .. هل سيخرج مسدسا ؟.. خرجت يده وبها بطاقة سوداء ، كلمات ، وختم مستدير ، وصورة بملابس رسمية ، الحروف امامي تتراقص .. اعتقد الان ان ابتسامته كانت للسخرية ، فكلهم يسألونه نفس السؤال ، وهم ، وهو ، يدركون انها شكليات ، منذ متى كانوا في حاجة الى ان يبرزوا اوراقهم ؟ ليسوا في حاجة الى هذا .. شكليات ،

اغلق البطاقة واعادها الى نفس الجيب ، ترددت لثانية ، فكرت ان اطلب منه رؤيتها مرة اخرى لانني لم اقرأ ما بها ، لكنني لم افعل ، ترى هل خجلت ؟.. نفس الصوت سأل والحروف هي نفسها الحيات التي تنجح الرقة في اخفاء هياكلها الواضحة : هل تسمح لنا بالتفتيش ؟ انا متأكد الان از – هل تسمح – هذه للسخرية ، فحتى لو صرخت بأنني « لا اسمح » فسيفتشون ... رددت بسرعة كأنما لاغطي بصوتي رنين سخرية « هل تسمح » : هل معك امر بالتفتيش ؟

ابتسم ، واسترحت ، هذه المرة كانت ابتسامته بلا جدال للتهكم ، هذه المرة بدا التهكم واضحا في اجابته : انه امر جماعي ويمكن ان تطلب من النيابة الاطلاع عليه ، على الاقل اعترف انها شكليات ، وانهم يفعلون ما يريدون دون هذه الكلمة : افتح باسم القانون ،

رغم انني لم الحه يأتي باشارة معينة ، الا ان رجاله في وقت واحد تحركوا لينتشروا عبر الردهة ، واذن فقد قرأوا الامر في عينيه .. واذن فهم يعملون معه منذ فترة طويلة ، تحركت انا الاخر اتابع نظراتي التي تلاقت مع نظراتها ، وقفت الى جانبها وترددت لثانية ، اردت ان اقول لها شيئا ولكنني لم اعرف ماذا بالضبط ، ارتفعت يدي لتمسك بكتفها ودون ان تتطلع ارتفعت اصابعها لتحتضن ظهر يدي ، ما الذي كنت اريد قوله ؟ ربما تشجعي .. ربما لا تخافي .. ربما احبك .. ربما سأفتقدك ، فأنا اعرف ما الذي ستنتهي اليه هذه اللحظات .. بعد دقائق .. او ساعات .. سيقول لي بحياته المدهنة : هل تسمح وتتفضل معنا ، ولا ينتظر ردي ، اذهب معهم ثم لا اراها .. شهر .. سنة .. ربما اكثر .. ربما للابد ،

احسست بأصابعها تضغط على يدي ، ماذا ؟ هل تشجعني ..؟ هي ..؟ غريب ، المفروض اشجعها انا ، او ترى هل بدء عودة الاحساس باللحظة اليها ؟ نظرت اليها ، كم هي صافية عيناها ، كم هي بريئة ، كم هي حانية .. حانية ماذا بها ..؟ الا تدرك ما نحن فيه ..؟ الا تدرك ما سيتلوه حتما ..؟ صوت اريكتنا الصغيرة وهي تنقلب يشد نظراتي .. ما الذي يعتقدون انهم وجدوا تحتها ..؟ يا للسخرية ، على الاقل ارجو ان لا يمزقوها ، يوم قلت لها نحن بحاجة الى اريكة جديدة هتفت وهي تضحك وهذه ؟ ماذا بها ..؟ يمكنها ان تتحمل سنة اخرى على الاقل ، ورغم ضحكتها كنت اعرف انها تقول ذلك لاننا لا نملك ما نشتري به واحدة جديدة ،

الكتلة الصماء تعدل الاريكة مرة اخرى ، صوت ارتطامها بالحائط يخرق اذني ليلتوه احساسي بأصابعها تتقلص حول يدي ، هل ستنفجر فيهم الان ؟ او .. هل تذكرت ..؟

□□□

كان الكوبان امامنا فارغين ، ونحن على نفس الاريكة ، وعتمة المساء تزحف لتلقي ملامحها وتخفي تفاصيل الموجودات حولنا ، وتحيطنا بستار يحجب وراءه اصوات الشارع بعرباته وصيحاته وضجيج اطفاله ، وعيناي .. عالقتان ببريق هادىء يتألق في عينيها ، لا اتكلم ، وهي تتكلم ، لكنني اسمع لبريق عينيها داخلي الف نغمة اسطورية ، تلفني ، تشدني ، تجذبني اليها شيئا فشيئا ، حتى اذا ما شعرت ان الدوامة ستحتويني ، اجد امامي شفتيها فأتشبث بهما علهما تقياني الغرق ، لا اتنفس ورغم هذا احس الحياة تتدافع خلال عروقي التي تمتلىء داخلي ، حتى لاشعر انني ما عدت احتمل ، انها ستنفجر ،

حينما انتظمت انفاسي قلت : أتدرين ..؟ هي اروع قبلة عشتها .. همست خلال انفاسها التي لم تنتظم : اتقولها لتبرر انك قبلتني ؟ بنفس درجة صوتها اجبت : قبلتك لانني ادركت منذ لحظات كم احبك ، لم تجب ، نظرت اليها فمالت برأسها لتخفي عينيها في صدري ، عبر القميص احسست بحرارة دموع ،

□□□

الحيات المدهنة تطرق اذني : لقد انتهينا من الردهة ، هل يمكننا الانتقال الى هذه الغرفة ، لم اتتبع ايماءة رأسه ولففت المكان بعيني ، ثم استقرت نظراتي عليها ، ألن تعترض حتى على هذه الفوضى ..؟ كل ما كانت تحرص على تنسيقه اصبح الان اكواما ، اين صرختها الغاضبة حينما كانت تلمح ذرات رماد سيجاتي على البلاط ..؟ لم ترد على تساؤلات نظرتي نهضت بهدوء وقالت : ليس من اللائق ان نترك السيد واقفا ينتظرنا ، احطتها بذراعي وانا